أبوابٌ في ذِكْر بني العباس

البابُ الأول في خلافة أبي العباس السفاح

واسمه عبد الله بنُ محمد بن عليٍّ بن عبد الله بن العبَّاس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف.

وأُمُّه رَيْطة[١] بنت عُبَيد الله [بن عبد الله][٢] بن عبد المَدَان بن الدَّيَّان، من بني الحارث بن كعب، وكانت قبل أن يتزوَّجها محمد عند عبد الملك بن مروان، فأولدها الحجَّاج بن عبد الملك، فهو أخو السفاح لأُمِّه[٣].

وقال ابنُ الكلبي: أراد محمد أن يتزوَّج رَيْطة، فمنعه منها بنو أميَّة؛ الوليد وسليمان؛ لأنه قيل لهم: زوالُ مُلككم على يد رجلٍ أمُّه حارثية، فلما قدم عمر بنُ عبد العزيز رحمه الله شكا إليه محمد، فقال: تزوَّج من شئت، فتزوَّجها، فأولَدَها أبا العباس، وعُبَيد الله، وداود، وآمنة[٤].

وقيل: إن محمداً تزوَّجها بعدما طلَّقها [الحجاج بن][٥] عبد الملك، وكان صديقه فتنكر على محمد وعابه.

وولد له السفاح بالشراة سنة خمس، وقيل: سنة أربع، وقيل: سنة ثمان ومئة، وولي الخلافةَ وهو ابنُ سبع وعشرين سنة. وكان أصغرَ من أخيه أبي جعفر، وكان

---

(١) ويقال في اسمها كذلك رائطة. انظر تاريخ ابن عساكر تراجم النساء ص ١٠٥.

(٢) ما بين حاصرتين من أنساب الأشراف ٣/ ٩٠.

(٣) كذا قال المصنف، وهو خطأ تابع فيه المسعوديَّ في مروج الذهب ٦/ ٨٨، والصواب أن ريطة كانت عند عبد الله بن عبد الملك بن مروان، ثم مات عنها، فتزوجها بعده الحجاج بن عبد الملك، فأولدها عبد العزيز ابن الحجاج، ثم طلقها، فعبد العزيز بن الحجاج هو أخو السفاح لأمه. انظر: أنساب الأشراف ٣/ ٩٠، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٠٧، وتاريخ ابن عساكر ٤٢/ ٣٠١، وتراجم النساء منه ص ١٠٥، والوافي بالوفيات ١٨/ ٤٧٣.

(٤) في مروج الذهب ٦/ ٨٨: ميمونة، بدل: آمنة.

(٥) ما بين حاصرتين من أنساب الأشراف ٣/ ٩٠.

أبيض، طوالاً، وقيل: معتدل القامة، جَعْداً، [له][1] وَفْرةٌ، حسنَ الوجه واللحية، جميلاً، أشبه الناس بأبيه محمد، ويقال: إنه كان بينه وبين أبيه محمد في السِّن أربع عشرة سنة.

وسُمِّي السَّفَّاح لما سفَحَ من دماء المُبْطِلين، وقيل: السفَّاح: هو القادر على الكلام. وكان لَسِناً فصيحاً، لم يكن في الخلفاء أفصح منه. ويلقَّب بالمرتضى والقائم، والسفَّاحُ أشهر ألقابه.

وقال أبو محمد علي بن أحمد بن حزم: أول الأسماء التي وقعت على الخلفاء: الصِّديقُ، والفاروق، وذو النورين، ثم لم يتسمَّ أحدٌ من خلفاء بني أمية بلقب، وإنما كان يُقال لهم: الخلائف، حتى قام أبو العباس فسُمِّي السفَّاح، ثم المنصور، وهما أول من تسمَّى بهذا الاسم، ثم المهديُّ محمد بنُ المنصور، وأول ما سُمِّي به محمد ابن الحنفية، ثم محمد بنُ عبد الله بن الحسن، ثم من بعدُ جماعةٌ من أمراء المغرب.

وقد أخرج الخطيب أحاديث في «تاريخه» منها: عن أبي سعيد الخدريِّ، عن النبيِّ ﷺ قال: «يخرجُ رجلٌ في انقطاعٍ من الزمن، وظهورٍ من الفتن، يُسمَّى السفَّاح، يكون عطاؤه المالَ حَثْياً»[2].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنَّا السفَّاح، والمنصور، والمهديُّ»[3].

وهذه الأخبار لا تثبتُ مرفوعةً ولا موقوفة.

ذكر خروجهم من الشام إلى الكوفة

لما حُمِل إبراهيمُ الإمام إلى حرَّان نعى نفسَه إلى أهله حين شيَّعوه، وأمرهم بالمسيرة من الحِمَّة إلى الكوفة مع أخيه أبي العباس؛ خوفاً عليهم من مروان.

قال المصنف رحمه الله: في عامَّة النسخ: الحِمَّة، وهو وهمٌ؛ لأن الحِمَّة مكانٌ بحوران، والمكان الذي كان فيه بنو العباس يقال له: الحُمَيْمة، بالبلقاء، وهي قرية

(١) ما بين حاصرتين من التنبيه والإشراف للمسعودي ص ٣٠٩.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٢٣٨. وأخرجه أحمد (١١٧٥٧).

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٢٣٨.

بالشَّراة بأرض الشَّوْبَك، بينها وبين الشَّوْبَك مقدار يوم.

فخرجوا، وهم: أبو العباس وأبو جعفر ويحيى بنو محمد بن علي، وداود وصالح وإسماعيل وسليمان وعبد الله وعيسى وعبد الصمد بنو عليِّ بن عبد الله بن عباس، وموسى بنُ داود، وعيسى بنُ موسى، ويحيى بنُ جعفر بنُ تمام بن العباس، وعبد الوهاب بن إبراهيم الإمام[١].

وقال ابنُ أبي الدنيا: خرج أبو العباس من الحِمَّة يريد العراق ومعه أخوه عبد الله بن محمد، وعبد الله، وعيسى، وموسى وأمه أم موسى بنت عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب بدُومة الجَنْدَل، فقال لهم داود: أين تريدون؟ قالوا: الكوفة؛ فإنَّ لنا بها شيعةً، وقد كاتبنا أبو سلمة، فقال لهم داود: أتأتون الكوفة وشيخُ بني مروان بحرَّان مُطِلٌّ على العراق والشام والجزيرة ـ يعني مروان ـ وشيخُ العرب في سادات العرب ـ يعني: يزيد بنَ عمر بن هبيرة ـ فقال أبو العباس: يا عمّ، من أحبَّ الحياة ذلَّ، ثم تمثَّل بقول الأعشى[٢]:

فما ميتةٌ إن متُّها غيرَ عاجز ... بعارٍ إذا ما غالت النفسَ غُولُها

فالتفت داود إلى من معه وقال: صدق ابنُ أخي، ارجعوا بنا معه نعيشُ أعزَّاء، أو نموت كراماً، فرجعوا معه، فكان عيسى بنُ موسى يقول: إن أربعة عشر نفراً خرجوا من الحِمَّة يريدون العراق يطلبون ما طلبنا لعظيمةٌ هممُهم، كبيرةٌ نفوسُهم، شديدةٌ قلوبُهم[٣].

قال الهيثم: فمرُّوا على ماء عليه حيٌّ من العرب، فنظرت امرأةٌ من الحيِّ في وجوههم، فقالت: تالله ما رأيتُ وجوهاً كاليوم، هذا خليفةٌ ـ وأشارت إلى أبي العباس ـ وهذا خليفةٌ ـ وأشارت إلى أبي جعفر ـ وهذا خارجي ـ وأشارت إلى عبد الله بن عليّ ـ فكان كما قالت.

قال الواقديُّ: فقدموا الكوفةَ في صفر، فأنزلهم أبو سلمة في دار الوليد بن سعد في

(١) ينظر تاريخ الطبري ٧/ ٤٢٣، والمنتظم ٧/ ٢٩٨؛ ففيهما بعض الاختلاف في ذكر من خرج مع أبي العباس.

(٢) ديوانه ص ٢٢٧.

(٣) والخبر كذلك في أنساب الأشراف ٣/ ١٤٤، وتاريخ الطبري ٧/ ٤٢٨، ومروج الذهب ٦/ ٩١-٩٢.

بني أَوْد، وكتَمَ أمرهم عن القوّاد من الشيعة أربعين يوماً، وكتب إلى المدينة إلى آل أبي طالب، وأقام منتظراً جوابهم. وكان أبو العباس كلما أرسل إليه في ظهورهم يقول: ما آن لكم أن تخرجوا بعدُ. وكان أهل خراسان إذا سألوه عن الإمام يقول: نحنُ في انتظاره.

ولمَّا طال الأمر على أبي العباس أرسل إلى أبي سلمة يقول: أنا الليلةَ آتيك، فقال أبو سلمة لأسد بن المرزبان وسَلْم مولى قحطبة: إذا أتاني الليلة رجلٌ من صفته كذا وكذا، فتحدَّث معي، وقمتُ وتركته، فاقتلوه؛ فإنه يريد أن يفسد علينا ما قد عزَمنا عليه، وجاءه أبو العباس فقال له: ما السببُ في كونك أقدَمْتنا وتُماطلُنا؟ وتناظرا ساعةً، فغضب أبو سلمة وأشار إلى القوم، ففهم أبو العباس، فتعلَّق بثوبه وضاحَكَه، وقام فخرج معه، ولما عاد أبو العباس إلى أهله قال: الآن أفلتُّ منه، وفي عزمه صَرفَ الأمر إلى غيرنا، فقال داود بنُ علي وأخوه عبد الله: الرأيُ أن تخرج فتعلم الشيعة والقوّاد بك[1].

ذِكْر ظهورهم

لما قوي أمرُ الدعاة بخراسان وشارفوا العراق استدعى أبو سَلَمة بني العباس إلى الكوفة، وصيَّرهم في منزله في سرداب، وكان يراعي الأخبار، وكان الدُّعاة يُؤمرون بقصده إذا ظهروا على الكوفة؛ ليُعرِّفهم الإمامَ فيسلِّمون الأمر إليه.

فلما أوقع قحطبة بابن هُبَيرة الوقعة العظيمة على الفرات، وغرق قحطبةُ، وانهزم ابنُ هبيرة إلى واسط، ودخل ابنا قحطبة الكوفةَ، وطلبا أبا سلمة وخرج إليهما، قالا: أين الإمام؟ أخرِجه إلينا، فقال: لم يحضر الوقتُ الذي يجوز فيه ظهورُه، وأخفى الأمر عن بني العباس، وعزم على نقل الأمر إلى بني فاطمة على نبيِّنا وعليها الصلاةُ والسلام، وكاتَبَ جماعةً منهم، فتأخَّروا عنه.

وساء ظنُّ بني العباس به، فاحتالوا حتى أخرجوا مولى لهم أسود كان معهم في السرداب، وقالوا: اعرفْ لنا الأخبارَ، فخرج وعاد، فعرَّفهم أن قحطبة غرق، وأن

(١) انظر أنساب الأشراف ٣/ ١٥٦.

ابنَيه دخلا الكوفة، وأن ابنَ هُبَيرة هرب إلى واسط، فقالوا: اخرُجْ، فتعرَّض لابني قحطبة، وعَرِّفهما مكانَنا، ومُرْهما أن يكبسا الدارَ علينا، فخرج العبدُ، وكان حُمَيد بن قحطبة يعرفُه، فتعرَّض له، فلما رآه أكبر رؤيتَه، وقال: ويحكَ! ما فعل ساداتُنا؟ فأخبره بمكانهم، وأدَّى إليه الرسالةَ.

فركب في طائفة من الجيش، وهجم الدار وأبو سلمة غافلٌ، وأراه العبدُ موضعَ السِّرداب، فدخل حُمَيد فقال: السلامُ عليكم أهلَ البيت ورحمةُ الله وبركاته، فردُّوا عليه، فقال: أيُّكم ابنُ الحارثية؟ وكانت أمُّ أبي العباس [عبد الله بن][1] محمد بن عليٍّ حارثيةً، وكان إبراهيمُ الإمام لما بثَّ الدعاةَ قال: الإمامُ بعدي ابنُ الحارثية الذي معه العلامة، والعلامة قولُه تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [القصص: ٥]، ولم يُسِرَّها إبراهيمُ إلا إلى أبي العباس، فلما قال ابنُ قحطبة: أيُّكم ابنُ الحارثية؟ ابتدَرَ أبو العباس وأبو جعفر كلٌّ واحدٍ يقول: أنا ابنُ الحارثية[2]، فقال ابنُ قحطبة: فأيُّكم معه العلامة؟ قال أبو جعفر: فعلمتُ أنِّي قد أُخرجتُ من الخلافة؛ لأني لم يكن معي علامة، فقرأ أبو العباس الآيةَ، فسلَّم عليه ابنُ قحطبة بالخلافة، ثم انتضى سيفه، وقال: بايعوا أميرَ المؤمنين، فبايعه أخوتُه وأهلُه الذين كانوا معه في السِّرداب، وأخرجه في الحال إلى المسجد، وأصعَدَه المنبر، فحُصِر عن الكلام، فتكلَّم دونه داود بنُ علي، وقام دونه بمِرْقاة.

وجاء أبو سلمة وقد استوحَشَ، فدفع حُمَيد بن قحطبة في صدره وقال: أما زعمتَ أن الإمامَ لم يَقْدَمْ؟ فقال: إنما أردتُ أن أدفع ظهورَه حتى يهلك مروان، فقبل منه أبو العباس ذلك، وأجلسه إلى جانبه.

قال الصُّولي: قدم أبو العباس وأهلُه الكوفةَ على أبي سلمة، فسترهم، وعزم على أن يجعلها شورى بين بني عليٍّ وبني العباس حتى يختاروا، ثم قال: أخاف أن لا يتَّفقوا، فعزم على أن يعدل بها إلى ولد فاطمة عليها السلام.

---

(١) في (د) و(خ): وكانت أم أبي العباس حارثية، وأم محمد بن علي حارثية. وهو خطأ، والمثبت من الفرج بعد الشدة للتنوخي ٤/ ٢٧٣-٢٧٤.

(٢) سيرد في الباب الثاني أن أم أبي جعفر بربرية، وأن اسمها سلامة، وهو ما اتفقت عليه مصادر ترجمته.

فكتب إلى جعفر بن محمد، وعبد الله بن حسن، وعُمر بن علي بن الحسين، وبعث بالكتب مع رجلٍ من مواليهم، فبدأ بجعفر، فأحرقَ كتابَه ولم يقرأْه، وقال للرسول: قل له: أنتَ شيعةٌ لغيرنا، وهذا جوابُه. وأما عبد الله فقبل الكتابَ، وركب إلى جعفر، فقال: هذا كتابُ أبي سلمة يدعوني إلى الأمر، ويرى أنِّي أحقُّ الناس به، وقد جاءته شيعتُنا من خراسان، فقال له جعفر: ومتى صاروا شيعتَكَ؟ وهل تعرفُ أحداً منهم. أنتَ بعثتَ أبا مسلم إلى خراسان؟ وأغلَظَ له، فقال عبد الله: هذا الكلامُ منك لشيء. فقال: النصحُ واجبٌ على كلِّ مسلم لكلِّ مسلم، فكيف أدَّخره عنك، فلا تُمنينَّ نفسك الأباطيل؛ فإنَّ هذه الدولة لهؤلاء القوم وليست لأحدٍ من ولد أبي طالب، وقد جاءني كتابُه بمثل ذلك فحرَّقتُه، فانصرف عبد الله غيرَ راضٍ، وأما عُمر فردَّ الكتاب، وقال: ما أعرفُ كاتبَه فأُجيبَه.

وأبطأ الأمر على أبي سلمة وعلى أبي العباس إلى أن لقي حُميد بنُ قحطبة ومحمد ابنُ صول مولى من مواليهم فدلّهما عليهم، فأخرجهم كما ذكرنا[1].

وقال أبو اليقظان: كان أبو الجهم بنُ عطية، وأبو حُمَيد الطوسيُّ من كبار الشيعة الخراسانيين، فسألا أبا سلمة عن الإمام، فقال: لم يَقْدَم بعد، فلقي أبو حُميد مولى لأبي العباس يقال له: سابق الخوارزمي، فسأله عنهم، فقال: هم بالكوفة، قد أمرهم أبو سلمة أن يُخفوا أمرهم، فجاء أبو حُميد إلى أبي الجهم فأخبره.

وقال البلاذُري: خرج صالح بنُ الهيثم رضيعُ أبي العباس ومعه سابقٌ، فلقيهما أبو حُمَيد وكان يعرفُهما؛ لأنه كان يتردَّد إلى الإمام، فقال لصالح: ألستَ رضيعَ ابن الحارثية؟ وقال لسابق: ألستَ مولاه؟ قالا: بلى. قال: فما تصنعان هاهنا؟ فأخبراه، فجمع الشيعةَ ودخل عليهم، فبكى أبو العباس وقال: تركَنَا أبو سلمة هاهنا ولم يُعلمكم بنا، وبلغ أبا سلمةَ، فجاء فسلَّم على أبي العباس بالخلافة، فقال له أبو حُمَيد: على رَغْم أنفك يا ماصَّ بَظْر أُمِّه الخلالة! فقال له أبو العباس: مَهْ. ثم أخرج أبو العباس على بِرْذَون أبلَقَ، وقد أحدَقَ به أهلُه ومواليه، وداود بنُ عليٍّ إلى جانبه، والناسُ

(١) انظر مروج الذهب ٦/ ٩٣-٩٨، والبدء والتاريخ ٦/ ٦٧-٦٩.

يقولون: من هو أميرُ المؤمنين؟ ولا يعرفونه، فقصَّر داودُ دون أبي العباس، فعرف الناسُ أنه الخليفة، وأبو الجهم وأبو حُمَيد يمشيان بين يديه، وأبو سَلَمة خلفَه على فرس[١].

وبُويع ليلةَ الجمعة لثلاث عشرة مضت من ربيع الأول، سنة اثنتين وثلاثين. وقيل: يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر. وقيل: في نصف جمادى الآخرة. وقال هشام: ظهَرَ يوم الأربعاء ويوم الخميس، وصلى بالناس الجمعةَ، وأولُ من بايعه موسى بنُ كعب التميميُّ الذي ألجمه أسد بنُ عبد الله بلجام حمار، وجذبه فكسر أسنانَه.

وقال خليفة: بُويع بالكوفة في دار الوليد بن سَعْد مولى هاشم في بني أَوْد.

وقال المغيرة: رأيتُ أبا العباس حين خرج إلى الجمعة على بِرْذَون أشهب بين عمِّه داود بن علي وأخيه أبي جعفر شاباً جميلاً، تعلوه صفرةٌ، دخل المسجد فَصَعِدَ المنبر، وصَعِدَ داود فوقف على عتبتين من المنبر، فحمد داودُ اللهَ وأثنى عليه، ثم قال: أيُّها الناس والله ما علا منبرَكم هذا خليفةٌ بعد عليِّ بن أبي طالب غير ابن أخي هذا. قال: ثم إني رأيتُه الجمعةَ الأخرى كأنَّ وجهه ترسٌ، وعنقَه إبريق فضة، وقد ذهبت الصُّفرة[٢].

ذكر خطبة أبي العباس

قال: الحمدُ لله الذي اصطفى الإسلامَ لنفسه ديناً، وارتضاه وأيَّده بنا، وجعلنا أهلَه وحِصْنَه، والقوَّام به، والذابِّين عنه، والناصرين له، وألزَمَنا كلمةَ التقوى وجعلنَا أحقَّ بها وأهلَها، وخصَّنا برسول الله ﷺ وقرابته، وأنبتَنا من شجرته، واشتقَّنا من نبعته[٣]؛ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ الآية [التوبة: ١٢٨] وأحلَّنا من الإسلام بالمنزل الرفيع، وخصَّنا بالتقديس والتطهير، فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٣] وقال: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] فاللهُ فضَّلنا، وأوجَبَ على الناس حقَّنا ومودَّتَنا.

---

(١) أنساب الأشراف ٣/ ١٥٦-١٥٧.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص ٤٠٩ - ٤١٠.

(٣) النَّبْع: واحدته نَبْعة، وهو شجر تتخذ منه القِسيّ. اللسان: (نبع).

وذَكَر السبئية وعابَهم؛ حيث جعلوا الرياسةَ والخلافةَ في غيرنا[١].

ثم قال: فلما قبض الله رسوله قام بالأمر من بعده أصحابه، فحووا مواريث الأمم، وعدلوا فيها، ووضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها، ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزوها وتداولوها، فجاروا فيها، وظلموا أهلها، واستأثروا بها، فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه، فانتقم منهم بأيدينا، وردَّ علينا حقَّنا، وتولَّى نصرَنا والقيامَ بأمرنا ليمُنَّ بنا على الذين استُضعفوا في الأرض، وختَمَ بنا كما افتتَحَ بنا، وأنا السفَّاح المُبيح، والثائر المُبِير.

ثم أثنى على أهل الكوفة، وزادهم في أعطياتهم مئةَ درهم مئة درهم، فدعوا له.

وكان موعوكاً، فاشتدَّ به الوَعْكُ، فجلس على المنبر وقام داود دونه بمرقاتين فقال:

الحمد لله الذي أهلك عدوَّنا، وأصار إلينا ميراثَنا من نبينا ﷺ.

أيها الناس، أقشعت حَنادِسُ[٢] الدنيا، وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضُها وسماؤها، وطلعت شمسُها من مطلعها، وبزغ قمرها، ورجع الحقُّ إلى نصابه في أهل بيت نبيِّكم؛ أهلِ الرأفة لكم، والعطف عليكم.

أيها الناس، إنَّا والله ما خرجنا لنُكثر مالاً، ولا لنحفر نهراً، ولا لنبني قصراً، ولقد كانت أموركم تُمِضُّنا[٣]، ويعزّ علينا سوءُ سيرة بني مروان فيكم، واستذلالُهم لكم، واستئثارُهم بفيئكم ومغانمكم، والآن لكم ذمَّة الله، وذمَّة رسوله، وذمَّة العباس أن نحكم فيكم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فتبّاً لبني حرب وبني مروان؛ حيث آثروا [العاجلةَ على الآجلة، والدار الفانية على الباقية، فركبوا][٤] الآثامَ، وظلموا الأنامَ، وانتهكوا المحارم، وغشوا الجرائم[٥]، وجاروا على العباد، وأفسدوا في البلاد، وركضوا في

(١) كذا في (د) و(خ)، وفي تاريخ الطبري ٧/ ٤٢٥ وغيره: وزعمت السبئية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا.

(٢) الحنادس، مفردها الحِنْدس: وهي الظلمة، والحنادس: ثلاث ليال من الشهر؛ لظلمتهن. اللسان: (حندس).

(٣) مضّه الشيء وأمضّه: بلغ من قلبه الحزن به. القاموس: (مضض).

(٤) ما بين حاصرتين من (د).

(٥) في (د) و(خ): وعبثوا بالجرائم، والمثبت من تاريخ الطبري ٧/ ٤٢٧.

ميادين الغيِّ جهلاً باستدراج الله، وأمناً لمَكْرِه، فبُعداً للقوم الظالمين.

أيها الناس، إنَّ أمير المؤمنين إنَّما عاد إلى الخطبة بعد الصلاة لأنه كَرِه أن يخلِطَ بكلام الجمعة غيرَه، وإنما قطَعَه عن الكلام ما هو فيه من الوَعْك، فادعوا الله له بالعافية؛ فقد أبدلكم الله بمروان عدوِّ الرحمن، وخليفةِ الشيطان، الشابِّ المكتهل، والفتى المتمهِّل[1]، المقتفي بسَلَفِهِ الأخيار، وأهله الأبرار. ثم أثنى على أهل خراسان، ونزل.

وقيل: إنه قال: وإن هذا الأمر فينا، وليس بخارج عنَّا، فظنَّ الناس أنه يدعو لنفسه، ففطِنَ، فقال: واعلموا أنه ما صَعِدَ المنبرَ بعد أمير المؤمنين عليٌّ مثلُ خليفتكم هذا، ففرح الناسُ ودعوا له، وأيقنوا أنَّ الخليفة هو أبو العباس.

وكان بنو أميةَ يخطبون قعوداً؛ تكبُّراً منهم، ومخالفةً للسنة، فقام السفاحُ وخطبَ قائماً؛ اقتداءً برسول الله ﷺ والخلفاء من بعده رضي الله عنهم، فضجَّ الناسُ له بالدعاء، وقالوا: أحييتَ السنةَ يا ابنَ عمِّ رسول الله ﷺ.

ولما صَعِدَ أبو العباس المنبرَ كان بيده عصاً، فوقعت من يده، فتطيَّر من ذلك، فناوله إيَّاها داود بن عليٍّ، وأنشده: [من الطويل]

فألقَتْ عصاها واستقرَّت بها النَّوى كما قرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ[2]

وقال هشام الكلبي: بينا أبو العباس في خطبته بالكوفة، وهي أول خطبة خطَبَها، إذ قام إليه رجلٌ وفي عنقه مصحفٌ، فقطع عليه الكلام وقال: يا أمير المؤمنين، أنا رجلٌ من آل أبي طالب، أَنْشُدك الله إلا أخذتَ بحقِّي ممَّن ظلمني. قال: ومن ظلمَكَ؟ قال: ابنُ أبي قحافة. قال: وما الذي فعل بك؟ قال: أخذَ ميراثَ أُمِّي فاطمة من فَدَك. قال: فمَنْ قام بعده؟ قال: ابنُ الخطَّاب. قال: فما فعَلَ في ميراثك؟ قال: استمرَّ على ظلمي. قال: فمن قام بعده؟ قال: ابنُ عفَّان. قال: فما فعل معك؟ قال: فعل كما فعل من تقدَّمه. قال: فمن قام بعده؟ قال: أبي عليٌّ. قال: استمرَّ على ظلمك، أم ردَّ حقَّك

(١) في (د) و(خ): المقبل، والمثبت من تاريخ الطبري ٧/ ٤٢٧، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٥١.

(٢) مجمع الأمثال ٢/ ١٠١، والبيت لمعقر البارقي، وهو في الحماسة البصرية ١/ ٢٤١، وانظر تخريجه ثمة.

عليك؟ فانقطَعَ الرجلُ وجعل يلتفتُ يميناً وشمالاً يطلب مكاناً يهربُ منه، فقال له أبو العباس: والله لولا أنها أولُ خطبةٍ خطبتُها بالعراق لأخذتُ ما فيه عيناك، ثم عاد إلى خطبته كأنما يقرؤها من قرطاس[١].

ولما فرغ السفاحُ من خطبته قام إليه السيِّد فأنشده: [من السريع]

دُونَكُموها يا بني هاشمٍ ... فجدِّدوا أمراً بها طامساً
دونكموها لا علا كَعْبُ مَنْ ... أمسى عليكم مُلْكَها نافساً
دونكموها فالبَسوا تاجَها ... لا تعدَموا منكم لها[٢] لابساً
خلافةَ الله وسلطانَه ... وعنصراً كان لكم دارِساً
والمُلكُ لو شُوورَ في ساسةٍ ... ما رامَ إلا منكمُ سائساً
لم يُبْقِ عبدُ الله بالشام مِنْ ... آلِ أبي العاص امرأً عاطساً

فقال له أبو العباس: سَلْ حاجتَكَ. قال: ترضى عن سُلَيمان بن حبيب بن المهلَّب، وتولِّيه الأهواز. قال: قد فعلت، وكتَبَ عهدَه، ودفعَه إلى السيِّد، فقدم به على سليمان، فلما وقعتْ عينُه عليه أنشده هذه الأبيات: [من المتقارب]

أتيتُكَ يا قَرْم أهل العراق ... بخير كتابٍ من القائم
أتيتُكَ من عند خير الأنا ... م وذاكَ ابنُ عمِّ أبي القاسم
أتينا بعهدك من عنده ... على مَنْ يليكَ من العالم
يولِّيك فيه جِسامَ الأمور ... فأنتَ صنيعُ بني هاشم

فقال له سليمان: شريف، وشفيع، وشاعر، ووافد، ونسيب، احتكمْ. فقال: جاريةٌ جميلة ومن يخدمها، وبَدْرة ومن يحملُها، وفرسٌ وسائسُه، وتَخْتٌ من الثياب. فقال: قد أمرتُ لك بكلِّ ما سألت، ولك في كلِّ سنة مثلُه[٣].

---

(١) انظر الأذكياء لأبي الفرج بن الجوزي ص ٥٣.

(٢) في (د) و (خ): منها لكم، والمثبت من المنتظم ٧/ ٣٠٣، والوافي بالوفيات ٩/ ٢٠١.

(٣) الخبر في المنتظم ٧/ ٣٠٣- ٣٠٤، والوافي بالوفيات ٩/ ٢٠١- ٢٠٢. والسيِّد: هو أبو هاشم، إسماعيل بن محمد بن يزيد، المعروف بالسيد الحِمْيَري.

والتخت: وعاء تصان فيه الثياب. القاموس: (تخت).

وقيل: إن السيِّد لما قال له سليمان: احتَكِمْ، قال: [من الطويل]

سأحكمُ إنْ حكَّمتني غيرَ مسرِفٍ ... ولا مقصر يا ابن الكُماة الأكارمِ
ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وبغلةٌ ... وجاريةٌ حسناء ذاتُ مآكمِ
وسرجٌ وبِرْذَون سريعٌ وكسوة ... وما ذاك بالإكثار من حكمِ حاكمِ
على ذي نَدًى يعطيكَ حتى كأنما ... ترى بالذي يعطيكَ أحلامَ نائمِ
أرحني بها من مجلسي ذا فإنَّني ... وحقِّكَ إن لم أُعطَها غيرُ رائمِ[1]

(١) المنتظم ٧/ ٣٠٤.